

تفسير أبي السعود

الأنعام آية 22 .

أظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف أوصافه فإنه افتراء على الله سبحانه ويقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن كان سبك التركيب غير متعرض لإنكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل ألا يرى إلى قوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون بعد قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك أن النسبة بين الشئيين إنما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فإذا لم يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة أو كذب بآياته كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته فإن ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة أو للإيدان بأن كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما أثبتته قائلهم الله أنى يؤفكون أنه الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدته تصدير الجملة به الإيدان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا هو لا يفلح الظالمون أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشهم جميعا منصوب على الطرفية بمضمر مؤخر قد حذف إيدانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فطاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ولحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب علل بالمفعولية بمضمر مقدم أي واذكر لهم للتخويف والتحذير ويوم نحشهم الخ وقيل وليتقوا أو ليحذروا يوم نحشهم الخ والضمير لكل وجميعا حال منه وقرء يحشهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين أشركوا أي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الأشهاد أين شركاءكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله سبحانه وإضافتها إليهم لما أن شركتها ليست إلا بسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبء عنه

قوله تعالى الذين كنتم تزعمون أي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الأسباب والعلائق حسبما سحكه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة إما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بإبعادها من ذلك الموقف وإما بتنزيل